

مركز الحضارة للدراسات السياسية

من تطوير المنظور الحضاري إلى الاندماج في الثورة وتطوراتها

*ما قبل عام الثورة: من غرب النيل إلى شرقه: من الفكر الهادئ إلى الحركة الصاخبة:

في غرب النيل تقبع جامعة القاهرة، ومن جامعة القاهرة خرجت كوكبة من داسي ومدرسي العلوم السياسية على الطريقة الغربية تيمم وجهها قبل المشرق، المشرق التاريخي والحضاري؛ لتشرق بين أيديها فكرة "منظور جديد في العلوم السياسية بل في العلوم كافة"، منظور يستوعب المنظورات السائدة في الأكاديميا الغربية المنتجة، والأكاديميا العربية المستوردة، ويتجاوز هذه الحالة الاستيرادية ليوسع لنفسه مجالاً جديداً للتأمل والتساؤل والحوار والإبداع، منظور يضع الذات في موضع الفاعل المتفاعل والناظر الدارس بعد أن استولت عليها حالة المفعولية والمدروسية وبقيت قرنين من الزمان صفحة يكتب عليها أبنائها وغير أبنائها بغير قلمها ولا مدادها.

وتضافرت كلمات رواد في هذا الطريق في الدفع بكلمة "الحضارة" و"الحضاري" إلى عنوان هذه المسيرة: **منظورا ومؤسسة.**

بين جامعة القاهرة والمعهد العالمي للفكر الإسلامي، وبين علماء السياسة في الفكر والنظرية والعلاقات الدولية والنظم السياسية والقانون الدولي، وعلماء الشريعة والتاريخ والحضارة الإسلامية والمفكرين الإسلاميين ولمدة عقد من الزمان (بين منتصف الثمانينيات ومنتصف التسعينيات) ومن رحم الإصرار على عبور الجسر، نشأ وترعرع مشروع فريد، خرج للنور باسم "العلاقات الدولية في الإسلام" في ١٢ كتاباً متكاملة.

وفي غرب النيل أيضاً، وبالتحديد في حي الزمالك والجزيرة الوسطى، تأسس مركز الحضارة للدراسات السياسية نهاية عام ١٩٩٧ ليبنى على عقد مشروع العلاقات الدولية في الإسلام، مشروعاً آخر في تطوير: الرؤية الكلية والمنهج الدراسي، اللذين ضفرتهما معا مقولة "المنظور الحضاري".

للحضارة في هذا المسار معنى خاص، مفاده: الكيان الكلي الجامع لمجالات الحياة والعيش: السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية، والواصل بين مستويات التناول والتعامل: في الداخل والخارج، وبين مشترك البشرية ومشترك الأقبام والملل والنحل وخصوصياتها.. ومن هذا الكيان

الكلّي تتجلى معال منظور له أصوله الفاعلة في حياة الإنسان المعاصرة، يرشّد استفادة الإنسان من تراثه وإنفاقه لميراثه عبر فقه هذا الإنسان لواقعه.

فالمنظور الحضاري هو منهج التفكير الكلّي المستند إلى رؤية خاصة للعالم والمتناول لقضايا الإنسان عبر أمته وعالمه وقضايا العالم والأمة عبر إنسان هذا الزمان: خصائصه وإمكانياته ومشكلاته.

عبر عشر سنوات (١٩٩٧-٢٠٠٧)، قطع المركز شوطا وبعض خطوات: شوطا في استكمال عملية من أخطر العمليات الحضارية التي لا يصح أن يغفل عنها بناء الأمم: **عملية التأسيس**: أي محاولة استجلاء الأصول التي نبني عليها قناعاتنا ورؤانا للعالم والإنسان والكون والحياة والغيب والشهادة.. ونؤسس منها الهوية والمرجعية الحاكمة للعقل والوجدان والعلاقات بين بني الإنسان، ونجدد الوعي بهذه الأصول مقوماتها وسماتها ومتطلبات فهمها والاستفادة منها للمعاش والمعاد.. **هذه هي عملية التأسيس**. ولقد تم أكثرها في إطار عملية ممتدة من مراجعة حالة علوم الاجتماع والإنسان، وبالأخص علم السياسة وسجلاته الكبيرة: عالم مفاهيمه المركزية والتأسيسية وعلى رأسها مفهوم السياسة نفسه، عالم مفاهيم نظم الحكم والعلاقات بين الدول والأمم.. ثم منهج النظر في قضايا الوطن والأمة وصراع الواقعيين والمثاليين ومحاولات الخلط، في غيبة من جرأة الابتكار العلمي والاختيار الحر.

وضمن خطوات المركز كانت معركة "نظريات البحث والدراسة في العلوم السياسية" من الأهمية بمكان. فالنظريات هي معمار العقل، وبالأخص هنا العقل السياسي: الدارس والممارس. فالغرب يصدر لنا النظريات معلبة، والمطلوب أن تدرس بطريقة تسهل البلع، وأن تستعمل بنفس المفاتيح وكل ما هنالك أن تتدرب على قيادة السيارة، ولا شأن لك بأحشائها فضلا عن أن تفكر في أن تصنع سيارتك على مزاجك الحضاري.. بالضبط مثلما يستكثرون عليك اليوم أن تصنع ثورتك الخاصة بك ونموذجك للتغيير والتجديد وإصلاح ما أفسده الغرب ورجاله.

وعلى جسر من المتاعب والجهد الجهيد، طور رواد هذا المنظور الحضاري مداخل ونظريات للدراسة: مدخل القيم، مدخل الأمة القطب، نظرية الأنماط التاريخية في العلاقات الدولية وسننها، ونظرية النماذج التاريخية، المنهج المفاهيمي، المدخل السنني، نظرية السفينة: المجتمع والوطن والأمة وسفينة الأرض، مدخل المقاصد... وقام المركز على محاولات مكثفة للتمكين لهذه النظريات وتوسيع دائرة استعمالها واختبارها بين الباحثين من خلال:

- **حولية أمتي في العالم:** التي سعت لتوسيع الوعي بشيء كان من المحظورات العلمية والمنكرات العملية اسمه: الأمة الإسلامية، كما كانت أي الحولية مدرسة تخرج فيها أجيال من الباحثين لا يزال أكثرهم على صلة قوية بالمركز والحولية نفسها، وها هو عددها الثاني عشر يتمثل للانتهاج.
- **الدورات التدريبية:** دورة المنهجية الإسلامية سنة ٢٠٠٠ - ودورة العلوم النقلية والشرعية للباحث الاجتماعي - ودورة التنقيف الحضاري بالتعاون مع برنامج حوار الحضارات سابقا.
- **المشروعات البحثية والندوات والمؤتمرات** بالتعاون مع جهات عدة.

*الخلاصة الأولى:

عبر عشر سنوات جمع المركز ما بين عملية التأسيس في عالم الرؤية والمنظور والمنهجية ومناهج النظر والبحث من جهة وعملية التفعيل في قضايا الوطن والأمة والعالم من جهة أخرى، حتى تماسكت أمام العيان ملامح شخصية هذا المركز وتراعت معالم مدرسة صامدة في رؤيتها وأجندتها.

*من الغرب إلى الشرق ثانية: تغيير في ميدان التحرير:

بالانتقال عام ٢٠٠٧ إلى شرق النيل حيث ميدان التحرير وصخب الحياة المصرية التي فاجأها المخاض بثورة، كان المركز فعلا قد شرع في مستوى آخر للتفعيل ربما يسمى **بالتشغيل**؛ وهو يتعلق بالحركة والنشاط العملي. ففي ٢٠٠٥ أسس المركز دورة "التنقيف الحضاري" التي عقدت حتى ٢٠١١ سبع حلقات سنوية متتالية .. حاولت توسيع مجال الخطاب والفكر إلى قطاعات أوسع على رأسها قطاع الشباب، وبأسلوب يخرق حجب الأكاديمية إلى براح الثقافة والحوار المجتمعي الفعال. في نفس الآن الذي شارك فيها المركز في حلم شبابي لا يزال ساريا وممتدا باسم "تموذج محاكاة منظمة المؤتمر الإسلامي" بكلية الاقتصاد والعلوم السياسية جامعة القاهرة.

بدأ في عام ٢٠٠٧ خط تفاعلي كثيف من خلال عدد كبير ومنتال من الدورات في المنهجية والمقاصد وعالم الأفكار والمفكرين والمجالات التربوي والاقتصادي والشرعي والنفسي.. وتأسس **ملتقى الحضارة الشهري** الذي ضم على أصدقاء المركز والمتعربين على منظوره العلمي نخبة كريمة من الباحثين والناشطين.

واتسعت خلال السنوات الأربع الماضية نطق التعاون مع المؤسسات والمراكز البحثية وشباب الباحثين وشباب العمل المدني التوعوي والتتموي في الداخل والخارج، وانضم إلى المركز عدد أكبر من العاملين والباحثين... وما زال النيل يجري بفضل الله تعالى وعونه.

في غمار الثورة

*حصاد عام من النظر والحوارات والمشاركة اللصيقة المتنوعة:

• أبت ثورة ٢٥ يناير إلا أن تجعل مركز الحضارة في أتونها وصميمها، حين تخيرت ميدان التحرير مرتكزا لعملياتها الجارية جريان النهر. من غرفة عمليات ميدانية إلى معمل بحثي وفكري مواكب ومواظب على تلقي دروس الثورة، والإجابة في امتحاناتها.

• الأسئلة الأربعة الكبرى التي واكبت عام الثورة الأول كان المركز مطرعا لها ومسرحا لإجابات مهمة عليها: **ماذا يجري؟ لماذا يحدث؟ ماذا سيحدث؟ ماذا نفعل في هذا المقام؟**

• في باب السؤال الأول عمل المركز خلية نحل دائبة صاحبة في المتابعة والرصد واستطلاع المعلومات قبل الآراء والرؤى لاستكناه الحقائق في غابات من التعقيم والغموض وتذبذب المواقف وانفجارات لا يعلم أحد لا من ولا متى وأين وكيف ولماذا ولا بم تتفجر؟؟؟ وفي نفس الوقت بدأ المركز تباعا ومع تراءي معالم المشهد المصري في سجال الثورة والدولة وما بينهما من وديان الحالة الأمنية والاقتصادية وتباب الإعلام والسياسة، يرسم خريطة اهتماماته وفق رؤية لخارطة الوطن وتحدياته الرئيسية.

• كثيرا ما عميت علينا الأنباء.. ففي باب محاولات التفسير والفهم العميق لم يكف المركز عن عمليات تقدير الموقف عبر لقاءات الخبراء والمختصين والقريبين من الأحداث في جلسات استماع وحوار ساخنة حول المجريات، خرجت منها الكثير من أوراق العمل وتقييم الموقف، وتقييم مواقف القوى المختلفة السياسية والمجتمعية، والداخلية والخارجية. وفي هذا الإطار لعبت أدوات المنظور الحضاري دورا ما لاسيما في تفسير ما ساد الباحة السياسية من صراعية مقبنة

